رسول الله ﷺ علمني

بشرح المهندس علاء حامد

ملخص

المحاضرة الرابعة

ملخص 4

قاتل المائة نفس

~ مقدمة ~

هذه القصة التى بين أيدينا من أشهر القصص التى رويت عن النبى صلى اللّه عليه وسلم ودورنا اليوم أن نستخرج منها فوائد قل من ينتبه إليها ،فهذه القصة بها عشرات وعشرات الفوائد ولكنها غالبا فى الخطاب الدعوى تختزل فى فائدة أو فائدتين أو ثلاثة وفى الأغلب القصة تدور حول معنى كبير فيكون تركيز من يتكلم فى القصة عن موضوع واحد ولكن فى الحقيقة هذا من ظلم القصة لأن بها عشرات الفوائد ولكن تحتاج إلى تأمل وصبر لاستخراج الفوائد وأحياناً تكون الفائدة الجانبية تؤثر فى شخص أكثر من الفائدة الرئيسية .

قـصـــة قـاتـل المـائـة نـفـس

✍ كان فيمن كان قبلكم رجل قَتَلَ تِسْعةً وتِسْعين نفسًا، فسأَل عن أَعلمِ أهلِ الأرضِ فدُلَّ على راهِبٍ، فأتاه، فقال: إنه قَتَل تِسعةً وتسعِينَ نَفْسًا، فَهلْ له مِنْ توْبَةٍ؟ فقال: لا، فقتلَهُ فكمَّلَ بِهِ مائةً، ثمَّ سأل عن أعلم أهلِ الأرضِ، فدُلَّ على رجلٍ عالِمٍ، فقال: إنه قتل مائةَ نفسٍ، فهل له من تَوْبة؟ فقالَ: نعم، ومنْ يحُول بيْنه وبيْنَ التوْبة؟ انْطَلِقْ إِلَى أرض كذا وكذا؛ فإن بها أُناسًا يعْبدون الله تعالى فاعْبُدِ الله معهم، ولا ترجعْ إِلى أَرْضِكَ؛ فإِنها أرضُ سُوءٍ، فانطَلَق حتَّى إِذا نَصَف الطَّريقُ، أَتَاهُ الموتُ فاختَصمتْ فيه مَلائكة الرَّحْمة وملائكةُ العَذابِ، فقالتْ ملائكةُ الرَّحْمة: جاء تائِبًا مُقْبلاً بِقلبه إلى اللّه تعالى، وقالَتْ ملائكة العذاب: إنه لمْ يَعْمل خيرًا قطُّ، فأَتَاهُمْ مَلكٌ في صورة آدمي، فجعلوه بينهم؛ أَي: حَكمًا، فقال: قيسوا ما بينَ الأَرْضَينِ، فإِلَى أَيَّتِهما كَان أَدْنى فهْو لَهُ، فقاسُوا فوَجَدُوه أَدْنى إِلَى الأرض التي أَرَادَ فَقبَضَتْهُ مَلائكَةُ الرحمة)) .

فوائد من قصة قاتل المائة نفس:

1. التوبة لحظة فلا تضيعها :

✍ هذا الرجل جاءت له لحظة اليقظة وهى أول منزلة من منازل العبد ذكرها الإمام ابن القيم فى مدارج السالكين وهى سؤال (ما الذى أفعله؟) هذه اللحظة ممكن أن تأتى لأى أحد مهما كان حال عصيانه وأجمل ما فى هذا الرجل أنه ركز فى هذه اللحظة ولم يفوتها لأن أكبر المصائب أننا تأتينا هذه اللحظة فنحاول أن نتجاوزها ونغفل عنها فهذه اللحظة نعمة لا ينبغى أن نتجاوزها وهذا الراجل قاتل المائة نفس كان أحوج لتضييعها لأنه قتل مائة نفس فكان من الممكن أن ييأس من حاله ويتجاوز لحظة اليقظة ولكنه لم يتركها ولم يهملها , فينبغي الحذر من تضييع خاطر التوبة وذلك لأن :-

- الخوف من يأتيك الموت قبل أن تستثمر هذه اللحظة .
- أن لا يأتيك هذا الخاطر مرة أخرى عقوبة من الله فإذا أعطاك الملك هدية وهى إرادة التوبة وأهملتها فالله سبحانه وتعالى قد يحرمك منها ...

وفى هذا الصدد عندما حُرم المنافقون من الخروج مع الرسول صلى الله عليه وسلم وأيضا الوليد بن المغيرة عندما قرأ النبى عليه سورة فصلت فقال والله، إن لقوله الذي يقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى، وإنه ليحطم ما تحته وكاد أن يسلم ولكنه أهمل هذا الخاطر إلى أن كفر .

- التسويف قد يجعل الله يكره منك العمل قال الله تعالى :

﴿وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾

فيجب عندما يأتيك هذا الخاطر بذرة اليقظة يجب أن تسقيها إلى أن تكبر وتذوق حلاوتها فإن لم ترعها بسرعة سيجمع لك الشيطان الجيوش

ويسرقها منك وهذا ما فعله القاتل سأل على أعلم أهل الأرض يريد أن يحمى ثمرة اليقظة قبل أن يخطفها الشيطان منه وهذا يدل على همته العالية ويدل على أنه يعلم بفطرته أن له توبة ولولاها ما سأل حتى عندما قال له الراهب ليس لك توبة ذهب ليبحث ولم ييأس .

2. صلاح النية لا يصلح العمل الفاسد :

✍ الراجل الذى دل القاتل على الراهب هو المجرم الحقيقي وهو السبب الأساسي فى قتل الراهب وهو سبب المشكلة الحقيقية هذا الرجل ظن أنه يحسن صنعا فدله على رجل شكله ظاهرياً أنه صالح وظن أنه فعل ما عليه ،المسألة أكبر من ذلك فهذا قاتل لمائة نفس وسؤال توبته خطير فلا ينبغى العشوائية والتخبط والتخليط بين العالم والعابد و .. فليس معنى أنه عابد أو قارئ أو يظهر عليه الإلتزام فإنه يكون بذلك أهل للفتوى فهذا الراجل كانت نيته خير فصلحت نيته وفسد عمله وهو من ضيع الراهب فعشوائية الرجل أدت لكل هذا كما أن الراهب اغتر بشهادة الناس له فصدقهم وأفتى الرجل ولو أنه قال لا أدرى لكان أفضل *فكلمة لا أدرى كلمة عظيمة لأنها توصل للمعلومة* ولو قولت أنك تدرى وأنت لا تدرى فهذا دمار كبير كما هو ملاحظ أن هذا الرجل ليس لديه فقه شرعي ولا واقعى وهو نموذج لتضييع الكفاءات عن طريق تصدير المعارف فنستفيد من ذلك عندما يستشيرنا أحد فى موضوع فيجب أن نتجرد ونختار الشخص المناسب لا المعارف .

3. لا تُسلم دينك إلا لعالم :

✍ من العجيب فى شخصية القاتل مائة نفس أنه عندما قتل الراهب مازال يسأل عن توبة رغم وقوعه فى الذنب مرة أخرى ومازال لديه خاطر أن هذا الراهب ليس أعلم أهل الأرض وظل يبحث وكان عنده حكمة فكان يبحث عن عالم حقيقي يدله على الله فلا تسلم دينك إلا لعالم فإذا كنت لا

ترضى أن تسلم جسدك لنصف طبيب فما بال دينك ؟! لذلك قال السلف إن الدين عظيم فانظروا ممن تأخذون دينكم .

4. عدم تغليب العاطفة على الشرع والحكمة :

✍ وهذا ظهر فى شخصية الراهب أنها عاطفية دل على ذلك تسرعه فى الفتوى والإجابة على السؤال فأجاب بالعاطفة ليس بالحسابات الشرعية وهذه مصيبة كبيرة يقع فيها أغلب الناس إلا العلماء ومن هنا لا يصلح أن يتصدر للإفتاء شخص عاطفي فقد تحمله العاطفة على أن يقول غير دين الله كما أن العواطف لا تصلح فى العواقب المصيرية لأن العاطفة تؤدى للتهويل والتهويل يضع المسألة فى غير حجمها الطبيعي مما يترتب عليه قرار خطأ فاحذر ذلك لأن العواطف عواصف .

5. الصادق فى التوبة يحاول كثيرا وضعيف الهمة ييأس من أول مرة:

✍ صدق هذا الرجل فى التوبة ظهر فى الإصرار على التوبة فالصادق يحاول ألف مرة وضعيف الهمة ييأس من أول مرة ودرجات الصدق تختلف وكل ما كان الصدق عالياً كلما نجحت محاولاتك للوصول إلى الهدف فيجب أن لا تيأس مهما كان .

6. التأمل فى سعة رحمة الله :

✍ التأمل فى سعة رحمة الله وغفرانه للذنوب مهما كانت فلا يوجد حد معين للذنوب تحول بينك وبين التوبة قال الله تعالى :

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾

الله عزوجل عرض التوبة على من هم أشنع منك فى الذنوب والمعاصي فعرضها على المنافقين والكفار, فالشاهد أن الله عزوجل إذا فتح لك باب التوبة فهذا من أوسع أبواب الله على الإطلاق .

وفى هذا الصدد نذكر حديث الرجل الذى أتى للنبى فقال: يا رسول الله، رجل غدر وفجر، ولم يدع حاجة ولا داجة إلا اقتطعها بيمينه، لو قسمت خطيئته بين أهل الأرض لأوبقتهم، فهل له من توبة؟ فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم "أسلمت" قال: أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله فقال النبي فإن الله غافر لك ما كنت كذلك، ومبدل سيئاتك حسنات" فقال وغدراتي وفجراتي فقال وغدراتك وفجراتك"فولى الرجل يهلل ويكبر.

7. عدم تأخير قرار التوبة :

✍ وهذا أجمل ما فى القاتل أنه نفذ الكلام على وجه السرعة وأخذ الموضوع بجدية كبيرة وذلك ما فرق معه عند موته فلو كان تأخر ثانية واحدة عن قرار التوبة لكان أقرب إلى الأرض السيئة .

فأحيانا يكون تأخيرك لقرار معين فى حياتك لساعة أو ليوم يتأثر على المدى البعيد تأثير سلبى للغاية .

8. الرحلة إلى الله بالقلب قبل البدن:

✍ فقلبه هاجر إلى الله قبل البدن وحقق التوبة قبل أن يسجد سجدة واحدة وانقطع عن المعاصي قبل أن يعمل الطاعات نجا بقلبه أولا ولو كان طاف الأرض كلها من غير صدق قلبه ما كان ينفعه وعندما وقع فى الطريق نئى بصدره وهو فعل ذلك أيضا بسبب العالم الذى أعطاه جرعة أمل غير طبيعية فشعر أنه لآخر لحظة ما زال أمامه فرصة للتوبة ونئى بصدره ناحية الأرض الصالحة وهذا هو الشبر الذى أنقذه فأقبل على الله وسيسخر لك كل هذا الكون لأنه فى رواية أن الله أوحى إلى الأرض السيئة أن تباعدي وإلى الأرض الحسنة أن تقاربي.., لذلك

إن لم تكن من أهل الأرض الصالحة فلا أقل من أن تميل بصدرك إليهم.

من هو بطل القصة الحقيقي :

✍ العالم هو بطل القصة لأنه لولا العالم ما تاب هذا القاتل ولولا العالم ما توقع القاتل أن يكون له توبة فالعالم هو الذى فتح باب التوبة له ودله على الله وأزال عنه أوهام أنه ليس توبة وهكذا ينبغى أن يكون الفقيه والعالم وأجاب القاتل بإجابة ترد على الأسئلة الكثيرة التى هى فى عقل القاتل وذلك لأن لديه علم بالواقع والمسائل وما يدور فى ذهن القاتل وعنده رحمة فوجد له مخرج وشعر به وهكذا ينبغى أن يكون العالم يفهم الناس وييسر لهم الواقع ولا يعسره عليهم .

✍ ومن حكمة العالم أنه قال له اذهب لأرض كذا وهذا لأنه بلا شك أن القاتل كان يعيش فى مجتمع فاسد تركوه يقتل مائة نفس ولم ينكروا عليه وهم سبب وصول القاتل لذلك ولو فكر أن يتوب قد يمنعوه لأن الإنسان قد يفعل الجريمة لأن له أتباع يغرونه فانتبه هذا العالم لكل ذلك فزاده فى الجواب .

كيف ترى ربك فى هذه القصة ؟

✍ شكور فقد شكر له الخطوات اليسيرة وأدخله الجنة ويعطى الكثير على القليل كما أنه تواب ولطيف دبر لعبده فى الخفاء وتواب ورؤوف ورحيم و ودود وجبار وصمد والهادي الذى ألقى فيه رغبة التوبة والميسر فيسر له أسباب التوبة والحليم الذى لم يعاقبه على قتل المائة نفس .

روشتة للتغيير :

1. الإعتراف بالذنب .
2. تحديد الهدف .
3. كيف تصل إلى الهدف.